الخدمات الاجتماعية في الهند في العصور الاسلامية

أ.م.د. خولة شاكر الدجيلي
دولة كندا

المقدمة :

يعتبر ظهور الاسلام في القرن السابع الميلادي أهم حدث عاشه المجتمع الاسلامي آنذاك ، وذلك لما حمله هذا الدين من أفكار وتطبيقات دينية وفكرية واجتماعية واقتصادية بالغة الأهمية غيرت حياة معتنقيه الى الأفضل ، باعتباره دين وانظمة حياة تلائم النفس البشرية في كل مكان وتجعلها تدرك انسانيتها بما يحققه من مبادئ اساسية كمبادئ الإخاء والمساواة والعدل والصدق ، وكان مبدأ حب الخير وفعله من المبادئ التي عمل الفقه الاسلامي على غرسه في النفوس ، باعتبارها احدى الوسائل التي يتقرب بها الانسان من خالقه ، اضافة الى كونه وسيلة من وسائل التكفير عن الذنوب ، ولما له من تأثير نفسي حسن في نفوس الناس وواسطة للتقريب بينهم .

والفقه الاسلامي حيث عمل على الخير باعتباره خدمة يقدمها الانسان مسؤولاً كان ام فرداً عادياً ، ومن هنا قامت الانظمة الاسلامية خصوصاً والمسلمين عموماً بتقديم الخدمات الاجتماعية للآخرين تحقيقاً لهدف ديني او اجتماعي واقتصادي وحتى سياسي كأن يكون تقرباً للناس وكسب ولائهم وتوسيع القاعدة الشعبية لنظام الحكم .

وبعد الفتح العربي الاسلامي للهند وانتشار مبادئ الاسلامي بين الناس وتقبلهم لتطبيقاته المختلفة تقبلاً حسناً ، توسعت قاعدة الخدمات الاجتماعية توسعاً كبيراً وطبقها مختلف الادارات الاسلامية التي تعاقبت على حكم الهند ، كما اقتدت بهم شرائح كبيرة من الناس وخاصة من علية القوم وكبار العلماء والصالحين الذين اندفعوا وبمختلف الطرق لتوسيع فكرة الخدمات العامة وتطبيقها عملياً وفي كل المجالات التي تمس حياة الناس المباشرة وغير المباشرة ، فقامت الدولة بدورها وخاصة في حالات السلام وكثرة الموارد المائية كما قام بها الأفراد سواء في الأوضاع الاعتيادية وفي حالات الأزمات والطوارئ التي يمر بها المجتمع [(١)] .

اشتملت الخدمات الاجتماعية في الهند على ميادين عديدة وأعمال مختلفة منها المنشأة العامة كإقامة المساجد التي تحتل الأولوية في مجال الخدمات العامة ، حيث انشأت في جميع مدن الهند كبيرها وصغيرها . فقد اهتم سلاطين المسلمين الهنود بإقامتها باعتبارها اماكن للعبادة والتفقه بالدين اضافة الى دورها الفكري والتعليمي واجروا الأرزاق على العاملين بها [(٢)] وبذلوا في بناءها الأموال الطائلة مستخدمين افضل انواع الرخام والأحجار والمعادن الكريمة وجعلوها قبلة انظار الناس في كل مكان كجامع دلهي العاصمة الذي قدم لنا ابن بطوطة وصفاً بديعاً له [(٣)] .

وكان في الأصل بيتاً للأصنام ، حيث حوله الأمير قطب الدين ايبك الى مسجد عند فتحه دلهي عام ٥٨٤هـ [٤] واهتم السلاطين من بعده فأظافوا اليه الشيء الكثير حتى أصبح من أشهرها ، واعتبر المسجد الجامع لسلاطين دلهي مدة قرنين من الزمن ، وأبدى السلطان فيروز تغلق (٧٥٣- ٧٩٠هـ/١٣٥١-١٣٨٨ م) اهتمامه ببناء المساجد ، والتي بلغت الأربعين مسجداً [٥] ، كما حث السلطان المغولي اكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ/ ١٥٥٦-١٦٠٥م) عماله وولاته على بناء المساجد ، واشتهر في دلهي أيضاً المسجد الجامع الذي بناه السلطان المغولي شاهجان (١٠٣٧-١٠٧٦هـ/١٦٢٨-١٦٦٦م) والذي يعتبر من أكبر وأجمل مساجد العالم وكذلك مسجد اللؤلؤة [٦] وأمر السلطان اورنكزيب (١٠٧٦-١١٢٨هـ/١٦٥٧-١٧٠٧م) بتعمير المساجد وترميم الخرب منها ، وعين فيها مجموعة من خيرة المدرسين والوعاظ والأئمة ورتب ارزاق للقائمين بها [٧] ، وحث الناس على حضور حلقات الدرس بها [٨] .وساهمت النساء بنصيبهن في هذا المجال كمسجد (فاتح بوري) الذي بنته البجوم فاتح بوري زوجة السلطان شاهجان في القرن ١١هـ /١٧م ومسجد (زينة النساء) الذي اسسته زينة النساء ابنة الامبراطور المغولي اورنكزيب عام ١٧٠٠ [٩] .ولم يقتصر بناء المساجد على العاصمة ، وانما تعداها الى الكثير من المدن الهندية فقد عرفت مدينة هيلي بمسجدها الذي يدرس فيه طلاب العلم وتجري عليهم الرواتب من خزانته الخاصة ، كما يطهي به الطعام لطلابه ولفقراء المسلمين بالمدينة ولإطعام الصادر والوارد ايضاً [١٠] ، وفي مدينة فيروز آباد التي أنشأها السلطان فيروز تغلق مبنى وزيره خان جهان مسجداً مهماً يسمى بمسجد كالان وذلك في القرن السابع الهجري ، وهناك المسجد الجامع المشهور في مدينة عليكرة بإقليم جوبنور ، واشتهرت كجرات بمسجدها الجامع المشيد في القرن السابع الهجري [١١] ، اما في مدينة آكرا فقد بلغ عدد الجوامع زمن السلطان شاهجان سبعين مسجدا [١٢] وكان يوجد في كل قرية من قرى مملكة الدكن البهمنية مسجداً يتعلم فيه الأطفال القرآن الكريم [١٣] ، بالاضافة الى هذا فقد شدد بعض السلاطين على معاقبة المقصرين عن اداء الصلاة وطالبوا الناس بمعرفة علم فرائض الصلاة والوضوء وحثهم على التمسك بتعاليم الشرع [١٤] بل ان بعض السلاطين قام بإنفاق مبالغ طائلة لكتابة نسخ من القرآن الكريم في متناول يد الناس لقراءتها والأستفادة منها كالسلطان شمس الدين التمش (٦٠٧- ٦٣٣هـ/ ١٢١١-١٢٣٥م)--[١٥] . والبعض الآخر كالسلطان اوركنزيب انفق مائتي الف من نقود عصره لتدوين وأحكام الشريعة وهي المشهورة بإسم (الفتاوى الهندية او الفتاوى العالمكيرية) وضعها تحت تصرف المشتغلين بالفتوى من علماء المسلمين[١٦] .كذلك شيدت الكثير من الزوايا والخانتاهات التي اعتكف فيها الكثير من الصالحين الذين تتلمذ على ايديهم طالبي المعرفة ، ويأوي اليها المسافرين ويُطعمون بها ، وتُجرى الأرزاق على العاملين بها[١٧] ، فقد اشتهرت مدينة بكار

بزاويها الحسنة التي بناها الأمير كشلوخان وفيها يقدم الطعام للواردين اليها ، وكان من جملة ماقام به السلطان محمد تغلق (٧٢٥-٧٥٢هـ/١٣٢٥-١٣٥١م) في هذا المجال ان عهد الى احد شيوخ مدينة ظهار ببناء زاوية واقف عليها الأوقاف الكثيرة واطعم بها الناس [١٨] . كما بنت والدة السلطان محمد تغلق ووزيره واجه جهات زوايا يقدم فيها الطعام لقاصديها [١٩] ، وأبدى السلطان فيروز تغلق اهتمامه بالزوايا فبنى فيها عشرين زاوية ورتب الأرزاق للعاملين بها [٢٠] ، كما وجه عنايته الى الخانقاهات التي كانت شبه مهجورة فعادت مزدحمة بالصوفية والزهاد الذين انشغلوا بالتعبد والدراسة [٢١] وكان من الأمور العادية–ان يعمد الناس الى بناء الزوايا في البساتين ويوقفون عليها الأوقاف ويجعلون النظر فيها لأولادهم فان أنقرضوا اشرف عليها القضاء [٢٢] والملاحظ ان بعض السلاطين كالسلطان المغولي اكبر انشأ مايسمى دار العبادة (عباد تخانة) عام ٩٨٣هـ/١٥٧٥م لتكون ملتقى للعلماء والفقهاء والمتصوفة وصفوة رجال الدولة يتدارسون فيها علوم القرآن الكريم والتفسير والحديث والفقه والتصوف والفلسفة [٢٣] . ومن المرافق العامة التي اهتم بها ملوك وامراء المسلمين بالهند الا وهي المدارس التي انتشرت في كل مكان مما ادى الى ازدهار التعليم ، فقد اقيمت الكثير من المدارس على غرار المدارس العربية الاسلامية سواء بشكل مستقل او ملحق بالمساجد[٢٤] ، فعهود السلاطين المماليك شهدت بناء العديد من المدارس التي اوقفوا عليها الأموال الطائلة والحقوا بها المكتبات القيمة وغرف للاساتذة والطلاب فجهزه تجهيزاً حسناً [٢٥] ، كالمدرسة الناصرية بدلهي والتي بناها امير السند ناصر الدين تباجة ، والمدرسة المعزية التي انشأها قطب الدين بيك مؤسس اسرة المماليك (٦٠٢-٦٠٦هـ/١٢٠٦-١٢١٠م) مدرسة السلطان شمس الدين التمش في دلهي ايضاً وغيرها من المدارس في العاصمة او المدن الأخرى والتي غصت بالعشرات من كبار العلماء الذين تولوا التدريس بها [٢٦] وبلغ عدد المدارس التي بناها السلطان فيروز تغلق ثلاثون مدرسة تدرس فيها مختلف العلوم ، واضطلع بالتدريس فيها عدد من العلماء المشهورين واجرى عليهم الرواتب [٢٧] ، واشتهر من بينها المدرسة الفيروزشاهية والتي كان الناس يتبرعون والتي كان الناس يتبرعون لها بالمال الوفير [٢٨] ولم يكن التعليم مقتصراً على الأولاد الذكور بل شمل البنات ايضاً حيث اقيمت مدارس لهن ، كما في بلدة هنور التي كان فيها ثلاثة عشرة مدرسة للبنات [٢٩] . ولأجل تحقيق وضع اجتماعي جيد للعلماء ، عمد السلاطين الى تيسير سبل المعيشة لهم ، فقد خصص السلطان شمس الدين التمش مثلاً رواتب لهم وبنى لهم منازل تليق بهم [٣٠] ومنعهم السلطان فيروز تغلق وظائف والاقطاعات والأراضي الخصبة ، مما يسر لهم سبل الحياة ، ودفعهم لمضاعفة جهدهم في عملهم ، مما ادى الى رواج العلم وارتفاع شأن العلماء [٣١] .وأبدى السلطان شيرشاه السوري (٩٤٧-٩٥٢هـ/١٥٤٠-١٥٤٥م) نفس الاهتمام بالمدارس وعين

للأساتذة والطلاب الرواتب كما هيأ لغير المسلمين مدارسهم وجعل اوقافها بيد رجالهم [٣٢] ، وشهدت حركة التعليم في عهد السلطان أورنكزيب أزدهارا كبيرا حيث كثرت المدارس في عهده على نطاق واسع والمهم انه قرر منح بعض طلاب المدارس منحاً دراسية من ماله الخاص ، وخصص مبالغ طائلة لإصلاح المدارس وخاصة في كجرات وذلك عام ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م [٣٣] بلغ عدد المدارس في عهده في مدينة تانه اقليم السند اربعمائة مدرسة ، اما العاصمة دلهي فقد حوت الف مدرسة [٣٤] ، كما وصل عدد العلماء الذين يدرسون مدارس احدى المناطق بإقليم الأودة خمسة الآف يستلمون رواتبهم من الوالي –[٣٥] واوقفت على مدارس اقليم الدكن الكثير من الأوقاف التي ينفق ريعها على ادارتها [٣٦] .والملاحظ ان الكثير من هذه المدارس اشتملت على مكتبات قيمة استفاد العلماء والطلاب على حد سواء وساهمت في ازدهار الحركة الفكرية والثقافية في المجتمع . اضافة الى المكتبات التي حوتها المساجد والزوايا والخانقاهات [٣٧] .وحوت مدرسة مدينة بيدار في الدكن التي بناها السلطان محمد شاه الثالث ---١٤٦٣-١٤٨٢م على ثلاثة آلاف مجلد [٣٨] .واظهر اولي الشأن اهتماماً بإنشاء المستشفيات ودور الشفاء لاسيما في المدن الكبيرة ، خاصة وان الهند كانت معروفة بتقدم علم الطب بها منذ القديم ، فعمد الكثير من السلاطين الى اقامة المستشفيات والاشراف عليها بأنفسهم كما فعل السلطان محمد تغلق الذي كان بذات الوقت طبيباً بارعاً اشرف على علاج الناس بنفسه[٣٩] ، وتراوحت دور الشفاء التي انشأها خلفه فيروز تغلق مابين الخمسين والمائة دار كان الدواء والغذاء يقدمان فيها للمريض مجاناً [٤٠] واشتهر الشاعر ابو الفيض فيضي بن مبارك وزير السلطان المغولي اكبر بشغفه بالطب الذي دفعه الى تطبيب الناس وعلاجهم بالمجان ، كما حث السلطان جهانكير على اقامة دور الشفاء في كل انحاء المملكة وعمل على تزويدها بالاطباء ، على ان تتولى الدولة الانفاق عليها ، فكان الغذاء والدواء يقدمان للمرضى مجاناً [٤١] وانتشرت المستشفيات في كل انحاء البلاد زمن السلطان اوركنزيب [٤٢] .وبلغ حرص الدولة على توفير العيش الكريم للمواطنين ان حققت نوعاً من الضمان الاجتماعي للناس ، كالذي فعله السلطان فيروز الخلجي والسلطان شيرشاد السوري عندما خصصا للشيوخ والمرضى والعميان والعجزة والمقعدين رواتب يستلمونها من بيت مال الولاية تحقق نفقتهم من المأكل والملبس ، ولافرق بين المسلم وغير المسلم ، وتطور الأمر زمن السلطان اوركنزيب حيث اقامت دوراً للعجزة [٤٣] من جانب آخر اولت الدولة عنايتها الى جانب آخر من المنشآت العامة ، الاهو بناء المدن الجديدة ومايرتبط بها من مرافق خدمية عديدة ، ومن اشهر هذه المدن مدينة دلهي العاصمة التي وصفت بأنها أعظم مدن الهند بل مدن الاسلام كلها في المشرق [٤٤] وهي مدينة قديمة أضاف اليها السلاطين المسلمين حيث اصبحت في القرن الثامن الهجري بمثابة اربع مدن متجاورة متصلة

ببعضـها ، الأولـى وهـي القديمـة التـي بناها الهنادكـة والتـي افتتحت سـنة ٥٨٤هـ والثانيـة تسـمى سيري وسكنها السلاطين الخلجيون ، والثالثة تدعى تغلق آباد والتي عرفت باسم ابنها السلطان تغلق والرابعة هي جهان يناه التي هي مستقر السلطان—تغلق [٤٥] ومعظم السلاطين من بعده ، كما اهتم هؤلاء ببناء المدن الجديدة الأخرى كمدينة دولة آباد التي بناها السلطان محمد تغلق لتكون عاصمة ملكه بدلاً من دلهي ، ولتشجيع الناس على ترك دلهي والانتقال للعاصمة الجديدة أشترى منازل الاهليين جميعاً ودفع لهم ثمنها [٤٦] . ثم بنيت ثلاث مدن جديدة قرب العاصمة دلهي من قبل السلطان فيروز تغلق –فيروز آباد ، فتح آباد ، جونبور ، اما مدينة اكرا فقد بناها السلطان اسكندر لودي جنوب دلهي على نهر جمنا عام ٩١٠هـ/ ١٥٠٤م وزخرت بالكثير من المنشآت العامة الجميلة ، ونالت الكثير من عناية السلاطين بعده ، حيث امتازت بطرقها النظيفة الممهدة وجمال أبنيتها [٤٧] وأولى السلطان شيرشاها لسوري عنايته للكثير من المنشآت بما يوفر راحة المواطنين ، فبسبب ماكانت تعانيه العاصمة دلهي من قلة المياه ، اوعز بنقل عمارة المدينة الى شاطئ نهر جمنا تحقيقاً لتلك الغاية ، كما اهتم بتجديد المدن الهندية القديمة كمدينة باتلي بترا –[٤٨] ، واهتم السلطان المغولي شاهجهان بعمارة المدن فأنشأ مدينة دلهي الجديدة والتي سميت في زمنه بإسم شاهجان ابان التي خططها وفق احدث التصاميم المعمارية آنذاك [٤٩] ، وقد تميزت هذه المدن وخاصة دلهي بحدائقها التي زادت على الألف حديقة زمن السلطان فيروز تغلق [٥٠] كما احاطها بعدد من البساتين بلغت حوالي مائة وعشرين بستاناً [٥١] زرعت العديد من انواع الأشجار التي جلبت من الخارج وخاصة زمن السلطان المغولي ظهر الدين بابر ، ولم يقتصر بناء الحدائق والبساتين على العاصمة وانما تعداها الى المدن كمدينة سادرة التي بلغت حدائقها الثمانين واربعون حديقة كمدينة جتور –[٥٢] ونتيجة لولع هؤلاء السلاطين بالفن المعماري ، فقد أستخدموا الألوف من أ البنائين والنحاتين الذين تولوا بناء هذه المنشآت من قص بما فيها ور ومساجد وحمامات ونافورات وخزانات مياه سواء في العاصمة او في المدن الأخرى مثل اكرا وسيكري وبيانه وكواليار وغيرها مما ساعدعلى خلق فرص عمل مستمرة للعمال[٥٣] ووفر لهم رزقاً جيداً . وتمثلت في هذه المنشآت روعة الفن المعماري العربي الاسلامي الهندي الذي بلغ الذروة في الدقة والجمال ولعل ابرز مثال على ذلك منشآت السلطان المغولي شاهجان في دلهي كالقلعة الحمراء والمسجد الجامع ، ومقبرة تاج محل في آكرا –[٥٤] .احتوت هذه المدن على الكثير من المنشآت العامة الخدمية التي اهتمت ببنائها للصالح العام ، كالحمامات العامة خاصة وان الاسلام حث على النظافة والطهارة ، لذا فقد اكثرت الدولة من بنائها ، منذ الفتح العربي والعصور ، فكان عدد الحمامات التي بناها السلطان فيروز تغلق عشرة وفي زمن السلطان شاهجان الثمانمائة [٥٥] .أما وسائط النقل ، التي تعتمد على الحيوانات ، فقد اهتمت

الدولة بهافي كل مدينة أسطبلات عامة للحكومة والأفراد وأخرى خاصة بالجيش كما حظيت المقابر باهتمام السلاطين ، فبنوا العديد منها كالسلطان فيروز تغلق الذي بنى مائة مقبرة (٥٦) . وكانت الأوقاف توقف على بعض المقابر بأمر من السلاطين لأهميتها ، كمقبرة السلطان قطب الدين الخليجي حيث اوقف عليها السلطان محمد تغلق ثلاثون قرية ، وجعل القيم على ادارتها الرحالة العربي– ابن بطوطة الذي عين فيها عدداً كبيراً من القراء ومساعدي القراء واماماً ومؤذنين ومداحين ، واسكنها بعض الصوفية والمدرسين وطلاب العلم وكذلك الخدم والطباخين وبعض الحراس وغيرهم حيث بلغت اعدادهم سبعمائة وسبعين شخصاً ، وكان الطعام يقدم بها للعاملين وللصادرين والواردين يوميا – ، مما ساهم في تخفيف حدة الغلاء اوقات الأزمات الاقتصادية (٥٧) . من ناحية اخرى ابدت الدولة عنايتها بالاوقاف ليس فقط في العاصمة وانما ببقية انحاء المملكة ، وانما في الخارج ايضاً لصالح الحرمين الشرفين في المدينة مثلاً . فقد اوقف محمد الثالث سلطان كجرات دخل ميناء قندهار عليهما ويبلغ حوالي عشرة الاف قنطار من الذهب (٥٨) ، كما كان السلطان مظفر الحليم احد سلاطين كجرات مهتماً بأهل الحرمين ويرسل لهم الأعطية والأكسية ، في مكة مدرسة ورباطاً وسبيلاً للماء وجعل لها وقفاً يرسل الى مكة لينفق ريعه على المدرسين والطلبة والمقيمين في الرباط (٥٩) .ومن الخدمات الاجتماعية الأخرى التي حظيت بإهتمام كبير من لدن سلاطين السلمين في الهند . كانت عمليات شق الطرق وتعبيدها وتعليمها وبناء الأحواض واقامة الترع والقناطر ، فقد كانت متطلبات الدولة تقتضي ذلك ، فمن الناحية العسكرية كان يجب على الدولة ربط انحاء المملكة بشبكة جيدة ومعبدة من الطرق لتسهيل عملية انتقال الجيش من مكان لآخر اذا ما استدعت الضرورة ذلك ، وكان ضرورياً ايضاً من الناحية الاقتصادية لتيسير الحركة التجارية وتنشيطها وتوسيعها كما كان ذلك لازماً ايضاً لنشر الأمن في مختلف انحاء المملكة والقضاءعلى عصابات قطاع الطرق واللصوص . وطبقت هذه السياسة مع بدايات الحكم الاسلامي للهند ، فقد امر السلطان غياث الدين بلبن (٦٦٤– ٦٨٤هـ/ ١٢٦٦–١٢٥٨م) بشق الكثير من الطرق عبر الأدغال والأحراش (٦٠) وجعلها ممهدة وآمنة واهتم مؤسس الأسرة ظهير الدين بابر (٩٣٢–٩٣٧هـ/١٥٢٦–١٥٣٠م) اهتماماً كبيراً بأيجاد شبكة من الطرق المعبدة ------------------------(٦١) وخاصة ذلك الطريق الطويل الذي يربط مابين كابل في افغانستان واكرا ممهدة للمسافرين (٦٢) واكمل عمله السلطان شيرشاه السوري الذي عبّد طريقاً يربط ما بين اقليمي البنجاب والبنغال بلغ طوله ثلاثة الاف ميل ، وعدة طرق اخرى ربطت بشكل ممتاز المدن الرئيسية في الهند ، كذلك اصلح السلطان المغولي اوركنزيب العديد من الشوارع والطرق (٦٣) . والمهم هنا ان الدولة اهتمت بتحسين هذه الطرق وغرس الاشجار الوافرة الظلال على جوانبها واقامة محطات

للمسافرين وحظائر للحيوانات استخدمها المواطنين كافة مسلمين ام هنادكة ليجدوا بها الطعام وليشعروا بالراحة مجاناً ، حيث تكفلت الدولة بنفقة مثل هذه المنشآت [٦٤] . كما في طرق اقليم المليبار حيث كان يوجد بيت في كل نصف ميل وفيه شخص معين يديره وينزل فيه عابري الطريق للاستراحة كما اهتمت الدولة بتعليم هذه الطرق وذلك بنصب اعمدة فيها ينقش عليها عدد الأميال بين كل عمودين لمعرفة المسافة للمكان المقصود [٦٥] او اقامة منائر ليهتدي بها السابلة[٦٦] كما حفرت الآبار لتوفير الماء للمسافرين حيث كان السلاطين والأمراء يتفاخرون ببنائها وخاصة في المناطق التي لاتتوفر بها المياه [٦٧] كما بنيت الأحواض – مياه الأمطار خدمة لسابلة الطريق [٦٨] كحوض مدينة جُرفَتّن المسمى (البابن الأعظم) وعلى جوانبه ثمان وعشرون قبة ، في كل واحدة منها أربعة مجالس من الحجر[٦٩] اضافة لهذا فقد اهتمت الدولة بشق الترع وحفر –واقامة الجسور والقناطر ، فقد حفر فيروز تغلق مثلاً خمسين نهراً وخمسين بئراً وبنى مائة جسراً [٧٠] .والمثير للاهتمام ان الدولة الاسلامية في الهند اهتمت اهتماماً متزايدا بجانب مهم من جوانب الخدمات الاجتماعية وهو الحياة الاقتصادية وما يتعلق منها بالذات بسياسة تحديد الاسعار وكسر الاحتكار والقضاء على المضاربين والوسطاء الذي يؤدي تدخلهم الى رفع الاسعار وبالتالي الى أزدياد حجم معاناة الناس ، فاهتم الحكام المسلمون في الهند بحياة الناس الأقتصادية ومايتعلق بها من الرقابة على الاسواق ووضع قواعد لتحديد وتثبيت المواد الاساسية مع التشدد في مراقبة ومعاقبة المخالفين [٧١] السلطان علاء الدين الخلجي خير من طبق هذه السياسة ، وابتداء بتحديدأسعار واللحوم ، حيث اعطى التجار الأموال اللازمة والمواشي وبيعها وتحصيل اثمانها لبيت المال ودفع اجرة عملهم هذا [٧٢] . مما كان له ابعد الأثر في انخفاض اسعارها وتمكن الناس من شرائها بسهولة ، وفعل نفس الشيء بالنسبة للاقمشة [٧٣] فقام ببناء سوق خاص بها ، ووضع سجلات لتثبيت اسعارها وكمياتها ، واعطى التجار منحا مالية ليتولوا جلب الأقمشة من المناطق الأخرى وبيعها بأسعار مخفضة تمثلت سياسته في تحديد الأسعار كل ما يمس حياة المواطنين ، فوضع ضوابط لتجارة الخيول والبقر والجاموس والابل وغيرها من الحيوانات [٧٤] مما ادى الى توفير القوت للمواطنين وبأسعار تكون بمتناول ايدي ادنى الطبقات [٧٥] وطبق السلطان اسكندر لودي نفسه هذه السياسة تعمل على توفير قوت الناس وبأسعار مناسبة مع وضع قواعد محكمة لضبط الأسعار ، واكثر من هذا فان سياسة السلطان المغولي جلال الدين اكبر الاقتصادية شملت ايضاً مراقبة اسعار مواد البناء لتيسير سبل معيشة المواطنين [٧٦] .وكان من مستلزمات تطبيق هذه السياسة اقامه المخازن لتجميع المواد الغذائية لغرض تنظيم توزيعها على المواطنين في اوقات المجاعة والأزمات وكان السلطان غياث الدين بلبن اول من التفت الى هذه الناحية ، فأنشأ العديد من مخازن الحبوب وخاصة في

العاصمة دلهي حيث كانت توزع وقت الحاجة ويخصص معلومة ، وتابعه في سياسته هذه السلطان علاء الدين الخلجي ، فكان يعمد في اوقات الغلاء الى فتح مخازنه وبيع الحبوب بسعر رخيص الى حين انقضاء الأزمة وعودة الأسعار على ما كانت عليه بل كان يفرض في مثل هذه الحالات ، على التجار بيع بضاعتهم بثمن رخيص يحدده لهم فاذا ما رفضوا يمنعهم من البيع ، ويفتح المخازن السلطانية لتبيع للناس بسعر مخفض عندها يضطر التجار الى قبول السعر الحكومي وربما بأقل منه خوف فساد بضاعتهم (٧٧) .والحقيقة ان هذه المخازن ظلت تمد السكان بالأرزاق والحبوب ابان المجاعات والأزمات ولفترات طويلة لاحقة . وكان لسياسة الدولة في استيفاء ضريبة الخراج عيناً ، ان تمكنت من تجميع الحبوب وتخزينها في المخازن الحكومية كي تتمكن من توزيعها وفق نظام الحصص اذا ما اقتضت الضرورة ذلك(٧٨) . ففي احدى سنوات حكم السلطان محمد تغلق اشتد القحط والغلاء ، مما جعله يأمر بإعطاء اهل دلهي جميعاً نفقة ستة اشهر من بيت المال ، فخرج عندها الموظفون واحصوا الناس وقدموا لهم هذه المعونة (٧٩) ، التي كانت تتكرر كلما تطلب الأمر ذلك (٨٠) ، ومن الأساليب التي اتبعتها ادارة الدولة لتخفيف حدة الأزمات على المواطنين أقامة المطاعم المجانية في مختلف أنحاء البلاد للفقراء المسلمين والهنادكة معا اضافة الى (الطعام العام) الذي يقدم في دار السلطان يومياً (٨١) بل ان السلطان المغولي شاهجان ذهب الى ابعد من ذلك حين امر عماله وموظفيه بشراء الأطفال الذين كان أهلوهم يبيعونهم نتيجة الفاقة والاملاق وردهم اليه ثانية (٨٢) ، وقام ذوي الشأن واليسر والعلماء بدورهم في هذا المجال ، فكان البعض يكثر من الصدقة والاحسان للفقراء والمساكين (٨٣) .من ناحية اخرى ، فقد لجأت الدولة في سبيل توفير القوت للناس ودرء خطر المجاعات الى توسيع رقعة الأرض الزراعية واستصلاح الأراضي البور والاهتمام بوسائل الري وشق الترع والقنوات وحفر الآبار وتقديم البذور للمزارعين (٨٤) لكي يزرعوا الأرض لحساب بيت المال ، وما فعله السلطان محمد تغلق خير دليل (٨٥) ، وكذلك السلطان المغولي جلال الدين اكبر الذي شجع الناس على الاشتغال بالزراعة وامدهم بالبذور اضافة لذلك ، فقد عمد بعض السلاطين الى تخفيف الضرائب على الفلاحين ، واعفائهم من ديونهم المستحقة ، كما فعل السلطان فيروز تغلق والسلطان المغولي اوركنزيب (٨٦) . ولما كان من المتعارف عليه في المجتمع الهندي الاسلامي اكرام الضيف لذا فقد قامت الدولة بواجبها في هذا المجال فأنشأت العديد من دور الضيافة ولاسيما في المدن الكبيرة لإستقبال الغرباء وخاصة العلماء واكرامهم(٨٧) . فعرفت من بينها دار الضيافة بالعاصمة دلهي حيث كان السلاطين يُنزلون بها من يريدون اكرامه ، كلذي حدث للرحالة المعروف ابن بطوطة مع السلطان محمد تغلق (٨٨) .ومن اساليب الخدمات العامة التي تبنتها الدولة هي عمل احصاءات للعاطلين في البلاد لمعرفة اعدادهم والحاقهم بالاعمال التي

يجيدونها من اجل توفير العيش الكريم لهم . فبعد ان أعدّ موظفي الدولة قوائم بعدد العاطلين زمن السلطان فيروز تغلق ، الحق من يجيد القراءة والكتابة بخدمة الديوان ، ومن كان ذا خبرة بحرفة ما هيأ له مايناسبه منها ، ومن بقي بعد ذلك منهم الحقوا بخدمة رجال الدولة وعلمائها ، وكذلك فعل السلطان اسكندر لودي (٨٩٤–٩٢٣هـ/١٤٨٨–١٥١٧م) الذي كان يطلب من حين لآخر قوائم بالفقراء والمعوزين يمنح كل واحد منهم مؤونة ستة اشهر [٨٩] ولما كان عدد الغرباء الوافدين لدولة الاسلام بالهند يتزايد مع مرور الأيام بقصد الاستقرار الدائم او المؤقت ، لذا فقد قررت ادارتها في عهد السلطان محمد تغلق تعيين مرتبات لهم ومنحهم القرى والاقطاعات التي توفر لهم حياة مادية واجتماعية جيدة مع الأخذ بنظر الاعتبار حالتهم النفسية نتيجة بعدهم عن اوطانهم ، حيث أطلقت عليهم اسم (الأعزة) [٩٠] . ومن الطريف الاشارة هنا الى ان بعض الخدمات الاجتماعية هذه كانت موجه للنساء فقط ، إذ نلاحظ مثلاً ان السلطان فيروز تغلق استحدث ديواناً سماه (ديوان الخيرات) وخصص له ميزانية مالية كي يقوم بتجهيز الفتيات الفقيرات للزواج [٩١] . كما قامت بعض نساء البلاط بواجبهم في هذا المجال ايضاً وذلك في حين ساهمت نورجهان زوجة الامبراطور المغولي جهانكير (١٠١٤–١٠٣٧هـ/١٦٠٥–١٦٢٧م) مساهمة فعالة في تجهيز الكثير من الفتيات وكذلك فعلت ارجمند باند زوجة السلطان المغولي شاهجان التي كانت تعين بمالها الفتيات الفقيرات المقبلات على الزواج [٩٢] ، ولم تقتصر هذه الخدمة الاجتماعية على السلاطين ونساء البلاط ، وانما تعدتها الى بعض علماء وفضلاء الأمة الذين كانوا يساهمون في مساعدة الأهالي في تزويج بناتهم او قضاء ديونهم وحاجاتهم [٩٣] .ومن الطريف مايذكر في هذا المجال ان بعض سلاطين الهند المسلمين كانوا يزفون انفسهم في الأعياد بالذهب ، ثم يعمدون الى توزيعه على الفقراء والمساكين كالسلطان المغولي جهانكير كان يزف نفسه مرتين بالسنة وينفق ما يساوي وزنه على المحتاجين [٩٤] . وان البعض الآخر كان يجهز كل عام سفينتين كبيرتين لنقل الحجاج من فقراء المسلمين مجاناً كالسلطان شيرشاه السوري [٩٥] او يواصل كالسلطان شاهجان ارسال الهبات كل عام الى فقراء بلاد الحجاز وكذلك الى اشرافها وعلمائها الاجلاء [٩٦] .

الهوامش

[١] الماوردي ، الأحكام السلطانية ، القاهرة ، ٢٧٦.

[٢] النمر ، عبد المنعم ، تاريخ الاسلام في الهند ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ ، ص٣٦٦ .

[٣] ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله ، الرحلة ، تحقيق : احمد العامري ج٢ ، القاهرة ، ١٩٣٨ ص٢٥–٢٩ .

[٤] ن . م ، ج٢ ، ص٢٤–٢٥ .

[٥] النمر ، ن . م. ، ص١٨٢ .

(٦) زكي ، عبد الرحمن ، المسلمون في العالم ، اسيا الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص١٨-١٩ .

(٧) النمر ، ن.م. ، ص٣٦٦ .

(٨) الساداتي ، احمد محمود ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ص٦٦ ، ص٢١٥ .

(٩) زكي ن.م. ، ص١٨-١٩ .

(١٠) ابن بطوطة ، ن.م. ج٢ ، ص١٨٢ .

(١١) الساداتي ن.م. ، ج٢ ، ص٢١١ .

(١٢) الفقي ، عصام الدين عبد الرؤوف ، بلاد الهند في العصر الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص١٠٥

(١٣) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٨٣ ؛ الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٢١٥ .

(١٤) الفقي ، ن.م. ، ص٢٤٠ .

(١٥) النمر ، ن.م. ، ص٣٦٧ .

(١٦) السامر ، فيصل ، الأصول التاريخية للحضارة العربية في الشرق الأقصى ، ج٢ ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص٨٣ .

(١٧) ابن بطوطة ، ن.م. ج٢، ص١٠ ، ص١٦٨ .

(١٨) ن.م. ، ج٢ ، ص١٢٠-١٢٣ .

(١٩) النمر ، ص١٨٢ .

(٢٠) الفقي ، ن.م. ، ص٢٤٦ .

(٢١) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٧١ .

(٢٢) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٢٩ .

(٢٣) الندوي ، محمد ، تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية ، بيروت ، ص١٨٨ .

(٢٤) الفقي ، ن.م. ، ص١٠٥ .

(٢٥) الندوي ، ن.م. ، ص١٨٨-١٨٩ .

(٢٦) الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٨٧؛النمر ، ن.م. ، ص١٨٢ .

(٢٧) الفقي ، ن.م. ، ص٢٤٦ .

(٢٨) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٧٧ .

(٢٩) العربي ، اسماعيل ، الاسلام والتيارات الحضارية في شبه القارة الهندية ، ١٩٨٥ ، ص٤٧.

(٣٠) الفقي ، ن.م. ، ص٢٤٥ .

(٣١) النمر ، ن.م. ، ص٢٩ ؛ انظر : الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ،ص٨٦ .

(٣٢) السامر ، ن.م. ، ص٨٥ .

(٣٣) الندوي ، ن.م. ، ص٢٠٠ .

(٣٤) النمر ، ن.م. ، ص٤٧٩ .

(٣٥) الفقي ، ن.م. ، ص١٠٥ .

(٣٦) راجع : النمر ، ن.م. ، ص٩٩ ؛ الفقي ، ن.م. ، ص٢٦ ؛ الندوي ، ن.م. ، ص٢٠٠.

(٣٧) الفقي ، ن.م. ، ص١٠٥ .

(٣٨) الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٧٢ : الفقي ، ن.م. ، ص٢٤٤-٢٤٥ .

(٣٩) النمر ، ن.م. ، ص١٨٢ ؛ الساداتي ، ن.م. ، ص١٨٧ .

(٤٠) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٥٧ ، ص١٦٦ .

(٤١) النمر ، ن.م. ، ص٣٦٦ .

(٤٢) النمر ، ن.م. ، ص٣٦٦ .

(٤٣) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٢٣ .

(٤٤) ن.م. ، ص٢٤ .

(٤٥) ن.م. ، ص٩٥ .

(٤٦) الساداتي ، ن.م. ، ج٦ ، ص١٨٨، ص٢٤٤ .

(٤٧) النمر ، ن.م. ، ص٢٥٢ .

(٤٨) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٣١٣ .

(٤٩) النمر ، ن.م. ، ص١٨٢ ؛ الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٨٨ .

(٥٠) الفقي ، ن.م. ، ص١٨٧ .

(٥١) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٥٨ ،ج١ ، ص١٨٨ .

(٥٢) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٥٨ ، ج١ ، ١٨٨ .

(٥٣) النمر ، ن.م. ، ص٣٢٢-٣٢٣ .

(٥٤) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ٢١١ ؛ النمر ، ن.م. ، ص١٨٢، ص٣٦٦.

(٥٥) الطرازي ، عبد الله مبشر ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد السند والبنجاد في عهد العرب ، ج١ ، ط١ ، جدة ١٩٨٣، ص١٩٤ .

(٥٦) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٤١-١٤٤ .

(٥٧) الندوي ، ن.م. ، ص٢٠٧ .

(٥٨) ابن بطوطة ، ن.م ، ص١٥٠

(٥٩) الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٣٧ .

(٦٠) ن.م. ، ج٢ ، ص٥٧ ، النمر ، ن.م. ، ص٢٣٦ .

(٦١) النمر ، ن.م. ، ص٢٥١ ، ص٣٦٦ .

(٦٢) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٧٩ ، ص١٦٨ ، ص١٤٣ .

(٦٣) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٥٧ .

(٦٤) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٥٦ .

(٦٥) ابن بطوطة ، ن.م. ، ص٢٧ ، ص١٥٦ ، ص١٥٨ ؛ المقدسي ، ن.م. ، ص٤٨٧ ، ص٤٩٥.

(٦٦) ابن بطوطة ، ج٢ ، ص١٨٤ .

(٦٧) النمر ، ن.م. ، ص١٨٢ .

(٦٨) انظر : الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٦٢ ، ص١٦٣ ، ص٢٥٣ ، ص٢٥٤ ؛ النمر ، ن.م. ، ص١٦١ .

(٦٩) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢، ص٤٠.

(٧٠) ابن بطوطة ، ن.م. ، ص٤٠ .

(٧١) النمر ، ن.م. ، ص١٦٢ .

(٧٢) انظر : الفقي ، ن.م. ، ص٢٠٤ ؛ الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٦٤ .

(٧٣) الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص٢٤٤ ، ج٢ ، ص٣١٢ .

(٧٤) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٢٥ .

(٧٥) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٤٠ .

(٧٦) النمر ، ن.م. ، ص١٦١ .

(٧٧) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٨٤، ص١١٨ .

(٧٨) راجع ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٦٥ .

(٧٩) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٦٣ .

(٨٠) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٨٦ ، ص١٩١ ، ص٢١٠ .

(٨١) ابن بطوطة ، ج٢ ، ص١٠٤ ، ص٩١ .

(٨٢) الفقي ، ن.م. ، ص٢٠١ .

(٨٣) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٨٨ .

(٨٤) الساداتي ، ن.م. ، ص١٥١ .

(٨٥) النمر ، ن.م. ، ص١٨١ ، ص٣٦٢ .

(٨٦) الطرازي ،

(٨٧) الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٨٦ ، ص١٨٧ ، ص٢٤٤.

(٨٨) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٢٩ .

(٨٩) الفقي ، ن.م. ، ص٢٢١ ؛ الساداتي ، ن.م. ، ج١ ، ص١٨٧ .

(٩٠) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص١٧٩ ، ص١٨٩ .

(٩١) ابن بطوطة ، ن.م. ، ج٢ ، ص٢٨ .

(٩٢) النمر ، ن.م. ، ص٤٨١ .

(٩٣) النمر ، ن.م. ، ص٢٥٢ .

(٩٤) الساداتي ، ن.م. ، ج٢ ، ص٢١٠ .

(٩٥) ابن بطوطة ،ن، م ، ج٢ ، ص٢٨.

(٩٦) النمر ، ن،م ، ص٤٨١.